الافتتاحية

رسالة بولس إلى الأفسسيّين وأهم مواضيعها

الأب أيوب شهوان

مقدمة

كما هي العادة في رسائل بولس، تتضمن الرسالة إلى أفسس قسمين: الأول (١:٣ – ٣:٢١)، هو عبارة عن صلاة تشفُّع مطوّلة على طريقة الأدبَين التقويّ اليهودي، والمسيحي الأقدم، أي: مباركة، فعل شكران، صلاة تشفُّع، وفعل تمجيد ختامي؛ أما الثاني (٤:١ – ٦:٢٠) فيحضّ المسيحيين على سلوك يتماهى مع حالتهم الممجّدة كأبناء النور وكأعضاء الكنيسة، أبناء بيت الله، وكعروس المسيح. وإذا ولجنا إلى عمق الرسالة ومنعطفاتها، تبيّن لنا أنها، في قسميها، تزخر بمواضيع لاهوتية وخُلقيّة هامة، نعرض في ما يلي أهمّها:

١ – الكنيسة

لقد أعدّ الله تصميماً خلاصياً، من «قبل إنشاء العالم» (أف ١:٤)، ليجمع شمل أبنائه المشتّتين (يو ١١:٥٢). الكنيسة هي إذاً بمثابة سرّ ظلّ مكتوماً في الله منذ الأزل، وقد كشف الآن عنه، ولكنه تحقق جزئياً (أف ١:٩ – ١٠؛ روم ١٦:٢٥ – ٢٦). إنها امتداد لجسد المسيح، فيها يجد الإنسان النور والغفران والنعمة «للتسبيح بمجد الله» (أف ١:١٤). هذه الكنيسة التي خلقها الله، وأسسها المسيح بالمعمودية (رج أف ٤:٥)، وصارت جسده (٣:٦)، تتغذى من خبز واحد (١ كو ١٠:١٧)، ويحييها الروح الحال فيها (أف ٢:٢٢؛ ١ كو ٣:١٦)، ويقودها (يو ١٦:١٣)؛ هي التي تجمع في شعب واحد (غل ٣:٢٨) أبناء الإله الواحد والأب للجميع (أف ٤:٦)، مزيلةً الحواجز بين الناس، ومصالحةً اليهود والوثنيين (٢:١٤ – ١٦)، لتكون «كنيسة مقدسة» (٥:٢٦ – ٢٧) لله.

في أف إذاً، تبرز الكنيسة على أنها ظاهرة شاملة وكونية، امتداداً وتأثيراً، وتضم كل الخليقة (١:٢١ – ٢٣؛ ٣:٩ – ١١)، في حين أنه في رسائل بولس المثبتة تهيمن فكرةُ أنها جماعة محلية (رج ١ كو ١:٢؛ غل ١:٢؛ فلم ٢؛ أنظر بالمقابل ١ كو ١٢:٢٨؛ ١٥:٩؛ غل ١:١٣، لتكوين فكرة أوسع عن الكنيسة)، «المبنية على أساس الرسل والأنبياء». في ١ كو ٣:١١، ينظر بولس إلى المسيح على أنه الأساس الوحيد للكنيسة. إن الفكرة القائلة بأن المسيح هو رأس الكنيسة، التي هي جسده (أف ١:٢٢ – ٢٣؛ ٥:٢٣)، هي توسيع ذات مدلول يتخطّى صورة مختلف الأعضاء الذين يكوّنون جسد المسيح، كما في ١ كو ١٢:٣١؛ روم ١٢:٤ – ٨.

من المحتمل أن تكون أف، أكثر من أي مؤلف آخر في العهد الجديد، تركز على هوية الكنيسة، القائمة على ما حققه الله بالمسيح (رج ١:٣ – ١٤).

٢ – الأمم

تشكل دعوة بولس إلى أن يكون إناءً مختاراً للرب، أداةً هامّةً جداً بالنسبة إلى الكنيسة الأولى ليحمل البشرى السارة إلى الأمم (أع ٩:١٥؛ ٢٢:١٥ و٢١؛٢٦:١٧). مع هذا اعتاد بولس أن يبشّر اليهود أولاً ثم الأمم، الذين لم ينتقل اليهم إلاّ عندما يصطدم برفض اليهود (أع ١٣:٤٥ – ٤٧؛ ١٨:٥ – ٦؛ ١٩:٨ – ١٠). بالمقابل هو يبيّن بوضوح وضع الأمم بالنسبة إلى الإنجيل، ويؤكد أنهم في الماضي خطئوا مثل اليهود (روم ١:٢٤ – ٣٢)، لكن الله يريد أن يرحمهم أسوةً باليهود، شرط أن يؤمنوا بالإنجيل (١:١٦؛ ٣:٢١ – ٣١؛ ١٠:١٢). هكذا تتحقق وحدة البشرية بالمسيح، ولم يعد هناك بالتالي يهودي ويوناني (غل ٣:٢٨)، إذ تصالح اليهود والوثنيون منذ أن سقط «جدار العداوة» الذي كان يفصل بين الاثنين، وصاروا يكوّنون بناءً واحداً، حجر الزاوية فيه المسيح، وجسداً واحداً رأسه المسيح (أف ٢:١١ – ٢٢). هذا ما تركز عليه الرسالة إلى أفسس.

ليست الجدالات حول قبول الأمم في الجماعة المسيحية من اهتمامات واضع الرسالة إلى أف. فهو لا ينظر إلى ارتداد الأمم كوسيلة لجعل اسرائيل يغار، فيعود يوماً إلى وضعه الصحيح، كما في روم ١١. بدلاً من هذا الأمل بإعادة بناء إسرائيل مستقبلاً، نجد في أف أن اليهود والأمم معاً قد «تصالحوا مع الله في جسد واحد بالصليب» (٢:١٦)، «وأصبحوا شخصاً جديداً واحداً بدلاً من اثنين» (٢:١٥)، بعد أن نُقِضَ «جدار العداوة الذي كان يفصل بينهما» (٢:١٤).

٣ – الزواج

يشدد يسوع في تعليمه على الطابع المطلق للزواج، وعدم قابليته للانفصام (مت ١٩:١ – ٩)، كون الله هو الذي يوحّد الرجل والمرأة، فإذا هما «جسد واحد»، يثبّت اتحادهما دمُ العهد الجديد (رج مت ٢٦:٢٨)، دم يسوع الذي يصير هو نفسه عريسَ الكنيسة. لذلك، فإن زواج مَن أضحوا بالعماد هياكل للروح القدس (١ كو ٦:١٩)، هو «هذا السر العظيم بارتباطه بسرّ اتحاد المسيح بالكنيسة» (أف ٥:٣٢).

في أف ٥:٢٢ – ٣١، تتعارض صورةُ الكنيسة على أنها عروسة المسيح، وفكرة الزواج المميزة، مع موضوع الزواج الوارد في ١ كو ٧:٨ – ٩، ٢٥ – ٤٠.

كما هي الحال في كولوسي، كذلك في أفسس، يخلق وجود الشرعة البيتيّة في أف ٥:٢١ – ٦:٩ معضلات خاصة في وجه تحديد المعنى اللاهوتي للرسالة التي تركز على العلاقة الزوجية (٥:٢٢ – ٣٣). ففي حين أن هذه العلاقة هي مدرجة بمعنى ديني من خلال المقارنة بين المسيح والكنيسة من جهة، وبين الزوج والزوجة من جهة ثانية، فإن العلاقات الهرمية في الزواج هي من دون شك معزّزة. ينبغي ألا يؤخذ الجمعُ بين المسيح والزوج بمعنى قد يُفهَم منه أن الزوج هو أكثر تماشياً مع ما هو إلهي من الزوجة التي هي صورة الجماعة الكنسية البشرية. ينبغي أن نلاحظ أن الزواج يعكس الطبيعة الحقة للعلاقة بين الإنسانية وبين الله.

في أف، تأخذ الخُلُقيّات البيتيّة المتعارف عليها مكانها في مستند يعكس معنى أقوى للشر في العالم، أكثر ممّا في كولوسي (رج أف ٢:١ – ٣؛ ٤:١٧ – ٥:٢٠). لا يمكن أن يُعبّر عن خلاص المؤمنين بتعابير أقوى. يركز واضع الرسالة إلى أف بشكل مباشر على عطيّة الله الخلاصية أكثر منه على مواضيع الاختيار والمصير (رج مثلاً ١:٣ – ١٤). في أف ٣:١٩ لدينا ما يمكن أن يكون التعبير الأقوى في العهد الجديد عن الرغبة في الاتحاد البشري مع الله. ففي حين أن فكرة الخلاص المستقبلي لا يمكن حجبها بأية طريقة (رج ١:١٣ – ١٤؛ ٦:١٣)، يجري الكلام على المؤمنين وكأنهم قد جلسوا بالفعل مع المسيح على مقاعد سماوية (٢:٦). تبشّر أف بإمكانية الجماعة الكنسية الإنسانية أن تشارك في المواطنية السماوية. إنها تُعِدُّ بالسماء عالماً تعذّبه قوى روحية شرّيرة (رج مثلاً ٢:٢).

٤ – المصالحة والوحدة

بهدف تعزيز المكاسب الروحية التي تلقاها المؤمنون من أصل وثني عبر انضمامهم إلى المسيح، تلفت أف الانتباه إلى

قيامة هؤلاء الروحية، وتمجيدهم مع المسيح في السماء، وخلاصهم بالنعمة، عبر **مصالحتهم** مع الله بموت المسيح، «**في جسد واحد**».

- المصالحة

في العهد القديم، وعد الله شعبه بالمصالحة التامة معه بإظهار المسامحة التي بها كشف عن أنه «إله الرحمة والرأفة» (خر ٣٤:٦)، الذي «يتكلّم بالسلام لشعبه» (مز ٨٥:٩). لقد أتمّ يسوع المسيح، «الوسيط بين الله والناس» (١ تيم ٢:٥)، المصالحة الكاملة والنهائية، التي هي جانب واحد من عمل الفداء. إنها مصالحة الله لنا بالمسيح (٢ كو ٥:١٨)، وسر هذه المصالحة مرتبط بسرّ الصليب (رج أف ٢:١٦)، وبسر «المحبة العظمى» التي أحبّنا بها (٢:٤).

المظهر الأفقي لمصالحة اليهود والأمم، الواحد مع الآخر، بالمسيح، هو مُدرَج بقوة وموسّع في ٢:١١ – ٢٢. لقد دمّر المسيح بموته الشريعة التي كانت تسبب قيام «الحائط الفاصل» بين اليهود وبين الأمم، وخلق «إنساناً جديداً واحداً»، أي الكنيسة. هناك استعارات أخرى للكنيسة، على أنها تلك الوحدة الجديدة، وهي: البناء، البيت، الهيكل المقدس، عروس المسيح، والجسد، حيث يلتقي الجميع.

- الوحدة

تبدأ الوحدةُ بالإيمان بالله الواحد، مما يجعل المؤمن ينفتح على المحبة التي تربط الآب بالابن، والتي يشركه فيها الروح القدس (رج يو ١٥:٩؛ ١٧:٢٦؛ روم ٥:٥)؛ هذه المحبة، إذ تُتْحده بالله الواحد، تجعل منه شاهداً لها في العالم عندما يجمع كل البشر في الابن الوحيد (رج أف ١:٥ و١٠؛ روم ٨:٢٩).

إن سبب فقدان الوحدة عائد إذاً إلى نكران الله، وبالتالي إلى ارتكاب الخطيئة التي تحطّم وحدة الزواج (تك ٤:١٩؛ تث ٢٤:١)، والوحدة بين الإخوة (تك ٤:٦ – ٨ و٢٤)، والوحدة بين الناس (تك ١١:٩). ولأن أمر العودة إلى الوحدة أمسى عصياً على قدرة الناس، أرسل الله ابنه ليهدم الجدار الفاصل، ويوحد الجميع في جسد واحد (أف ٢:١٤ – ١٨) الذي هو الكنيسة (١ كو ١٢:٤ – ٢٧؛ أف ١:٢٢ – ٢٣)، جامعاً إياهم كالحجارة الحية في هيكل الله الواحد (أف ٢:١٩ – ٢٢؛ ١ بط ٢:٤ – ٥).

هكذا تعالج أف موضوع الوحدة انطلاقاً من المسيح وكنيسته، التي هي جسده، لتشمل فكرة المسيح الممجّد على أنه «**رأس**» «**الجسد**» بمعنى مجازي. وتوسع أف فكرة «الكنيسة» لتصل إلى اهتمام أوسع بالوحدة، حيث يستعمل بولس كلمة «كنيسة»، أي جماعة، ليدل على الكنيسة الجامعة، وليس على جماعة محلية. يمتد الاهتمام بالوحدة ليشمل أيضاً الكون بمجمله: المسيح هو «رأس» «كل شيء»، رأس وحدة كونية، هي الهدف الأخير لعمل الله في المسيح، الذي صار معروفاً بواسطة الكنيسة. إنه هدف الله، لأن «يختصر كل شيء» في المسيح على انه رأسها. لذا تبدو الكريستولوجيا والاكليزيولوجيا والإسكاتولوجيا مترابطة جداً في أف.

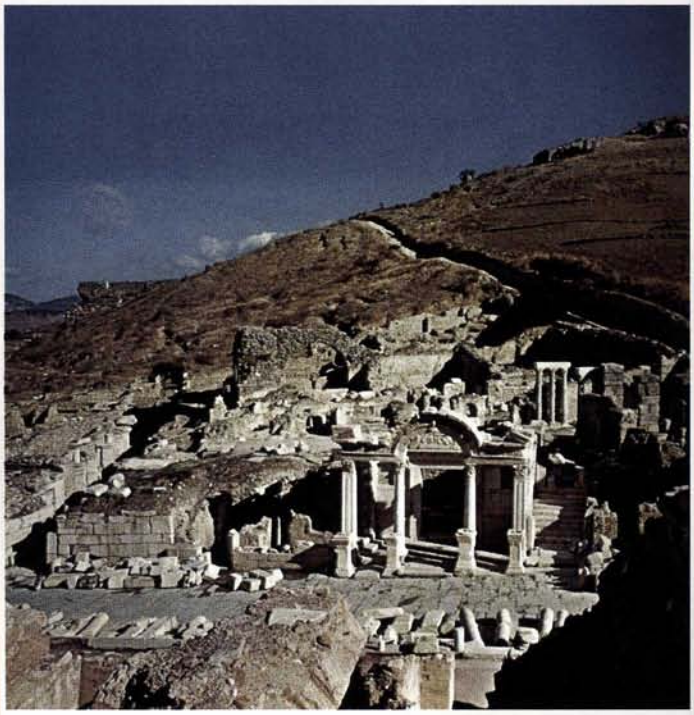

مرفأ أفسس، الذي نرى بقاياه في الصورة، كان مركزاً إدارياً وتجارياً للمقاطعة الرومانية في آسيا الصغرى، ومشهوراً بهيكل الإلهة الأفسسيّة أرتاميس (رج أع ١٩:٢٨)